بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأما بعد؛

فلم يسبق أن نشر لي كتاب، ولم يخطر ببالي قط أن سوف ينشر لي كتاب، ذلك أن كل ما دونته من خواطر، أو ما كتبته من مقالات - وهو قليل- إنما كان دائمًا نتيجة لشعوري في وقت ما بوجود حاجة ماسة للكتابة، فهذه الكتابات ردود أفعال فكرية لوقائع وحوادث، وليست عملاً فكريًا يتم التخطيط له، ويصمم بناؤه، وتجمع مواده ويرجع إلى مصادره، ويقضي وقت طويل ويبذل جهد كبير في البحث والتنقيب لغرض استكمال متطلباته.

وحدث أن نشر موقع (**الإسلام اليوم**) بعض تلك المقالات التي تمت كتابتها في المدة الماضية القريبة، ثم ألح عليّ الإخوان في موقع (**الإسلام اليوم**)، بأن تجمع وتنشر في كتاب، فمانعت في ذلك مبررًا ممانعتي بمبررات شتىّ، ولكن الإخوان أصروا على إلحاحهم، فتخليت عن ممانعتي بسبب واحد هو ضعفي الطبيعي أمام الإلحاح والطلب.

وقد اختار الإخوان لهذه المجموعة عنوان «قضايا بلا حدود» وظني -وبعض الظن وَهْمٌ- أن الإخوان إنما اختاروا هذا

العنوان لأنهم لم يجدوا عنوانًا آخر يمكن أن يعبر عن فكرة تصلح أن تكون قاسمًا مشتركًا بينها.

وفعلاً فالقارئ قد يلاحظ أنه لا رابطة بين موضوعات هذه المقالات، والقارئ محق في هذه الملاحظة على الأقل بوجه من الوجوه.

إذ ما هي الرابطة -مثلاً- بين موضوع تعدد الزوجات وموضوع المصرفية الإسلامية؟

أما بالنسبة لي - أنا كاتب المقالات - فإني وأنا أستعيد الدوافع لكتابتها أرى وجود رابطة وثيقة بينها، تتمثل هذه الرابطة في أن كل المقالات تعالج في ناحية من النواحي إشكالية مواجهة المسلم للحضارة المعاصرة، أو بعبارة أخرى الحضارة الغربية، أو بعبارة أدق الحضارة الأوروأمريكية.

(إن التأثير الطاغي لهذه الحضارة- فلسفتها وقيمها وأنماط عيشها- على العالم تأثيرٌ شامل وعميق، شامل من حيث تناوله مختلف مجالات الحياة، وعميق من حيث وصوله إلى أعماق النفس البشرية بحيث يزاحم أو يطرد جزئيًا أو كليًا القيم الثقافية الأخرى ليحل محلها).

لقد مكن لهذا التأثير امتلاك الحضارة المعاصرة لقدرات لم يسبق لها مثيل في التاريخ المكتوب - قدرات عسكرية

واقتصادية وتكنولوجية وإعلامية-، ولكن ليس هذا فقط هو ما مكن للتأثير؛ وإنما مكن له بدرجة أكبر ضعف متلقي التأثير أي الجانب الآخر من العالم، ولا يستثنى من ذلك العالم الإسلامي.

إلا أن حالة الإسلام تعتبر حالة خالصة، إذ إن تأثير الحضارة المعاصرة على مجتمعاته لم يتم بيسر واستسلام وقابلية للتأثير، وإنما كان مصحوبًا بقدر كبير من التوتر والصراع، والسبب في ذلك واضح من أن الإسلام بتصوره للكون والحياة، وللقيم الإنسانية، والعلاقات بين البشر، لا يُعتبر فحسب ندًا للحضارة المعاصرة؛ بل يبلغ درجة من السمو عليها بحيث لا يقل الفارق فيه بينهما عن الفارق بين الإسلام عندما جاء به نبيه - صلى الله عليه وسلم- والجاهلية الأولى.

لقد كانت الحاجة - ولا تزال- تدعو إلى توعية المسلم بطبيعة الحضارة المعاصرة وفلسفتها، ووجوه تميُّزِها واختلافها عن «الإسلام».

ولهذا الغرض كتب مقال «الطريق الروحي إلى مكة المكرمة» ويتضمن قصة جزء من حياة (محمد أسد)؛ اقتبست من كتابه الشهير «الطريق إلى مكة».

وقد هُيئ لـ(محمد أسد) أن يكون علامة بارزة في تميز

الحضارة المعاصرة عن الإسلام، لقد كان وهو المفكر الألمعي البالغ الذكاء، الواسع الثقافة، الذي يتمتع بقدر كبير من الدنماكية والشجاعة.. عاصر الحضارة المعاصرة في أحرج فترات التغيير فيها وعاش توتراتها وأزماتها، وقدر له أن يكون له دور فعلي في الحربين العالميتين اللتين أثرتا على تطورها وعلى تشكيل تصوراتها وقيمها.

ثم قدر له أن تجوّل في العالم الإسلامي، واختلط بمختلف طبقاته، وتعرف على أدق تفاصيل حياة المجتمعات فيه، وأتقن عددًا من لغاته مكنته من الإطلاع الواسع على تراثه الفكري والثقافي، وبذلك نجا من الانخداع بصورة المسلمين الحاضرة، فلم تحجبه عن رؤية الإسلام في حقيقته؛ فكان (محمد أسد) بهذه الصفات خير من يعبَّر عن طبيعة الحضارة الغربية، ويقيس مدى تميزها واختلافها عن الإسلام، ومن أقدر الناس على إصدار تقييم دقيق وموضوعي لهذا التميز والاختلاف.

إن الحضارة الغربية كغيرها من الحضارات تبني بعض تصوراتها وقيمها على المنطق أو العلم، أو التجربة الواقعية، ولكن بعض تصوراته وقيمها تُبنى على مجرد الموروث الثقافي، وعلى محض المشاعر العاطفية، فلا تسند بالضرورة إلى المحاكمة العقلانية، أو المصلحة العملية الواقعية.

والحاجة تدعو إلى التمييز بين هذين النوعين، ولما كانت قضية المرأة وعملها تأثرت ربما أكثر من غيرها بخصائص الموروث الثقافي والمزاج العاطفي في الحضارة الغربية؛ فقد جاء مقال «تعدد الزوجات»، و «قضية أن تكون المرأة أجيرة» في هذا السياق.

وبالنسبة لنوعية التأثير الفكري؛ فالملاحظ أنه لا يتم دائمًا بصفة عقلانية، بل في كثير من الأحيان يلابس التقليد من قبل المتلقي غلو وإسراف وتجاوز بالفكرة عن حدودها، ويكون الأمر شديد الخطورة عندما يتصل التقليد بالمجال الفقهي والشرعي، ومن الأمثلة البارزة في ذلك النظرة الغالية لمفهوم الملكية الأدبية عند كثير من أهل العلم الشرعي.

في هذا السياق جاء مقال «هل للتأليف الشرعي حق مالي؟».

إن من أسوأ مظاهر تأثير الحضارة الغربية على العالم الإسلامي النظام البنكي الربوي، وفضلاً عن أن من الخبراء الاقتصاديين العالميين من يقرر أن الاقتصاد العالمي مهدد بالانهيار، وأن المرض الذي تجذر في هذا الاقتصاد سببه الرئيس النظام البنكي الحالي، وأن من أعراض هذا المرض الشعور بضنك المعيشة والبطالة، واختلال مقياس العدالة

الاجتماعية، والاستعمال الجائر للمال في غير وظيفته الطبيعية.

فضلاً عن ذلك؛ فقد تقبل العالم الإسلامي بسهولة واستسلام يدعوان للدهشة نظامًا يقوم على الربا الذي يصرح القرآن الكريم أنه موجب للإذن بالحرب من الله.

وحينما حاول المسلمون تغيير هذا الوضع ووجدت تطبيقات لما سمي «المصرفية الإسلامية» لم تستطع هذه التطبيقات البعد عن روح النظام الربوي الغربي، حيث ظل الهدف المصرفي (العمل في النقود لا العمل بالنقود) وفي هذا السياق جاءت المقالتان اللتان عالجتا موضوع المصرفية الإسلامية.

إن مقالات الكتاب وهي تعالج إشكالية مواجهة المسلم للحضارة المعاصرة تعبَّر عن أفكار مبدئية غاية ما تهدف إليه أن تثير الاهتمام بمضامينها، وأن تدعو إلى مزيد من الدراسات والبحوث حولها، والمرجو أن يحقق نشرها هذه النهاية.

وبالله التوفيق،،،

صالح بن عبدالرحمن الحصين